الصراع الاقتصادي على منطقة الفلاندرز في القرن الرابع عشر الميلادي

د. هويدا سيد علي محمد
أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب – جامعة حلوان – مصر

ملخص البحث:

كانت منطقة الفلاندرز من أهم مناطق الصراع بين إنجلترا وفرنسا، وكان هذا الصراع أحد أسباب حرب المائة عام بين الدولتين. لذلك كانت إنجلترا حريصة على كسب أتباع لها داخل الإقليم – التابع إقطاعيًا لفرنسا منذ القرن الثامن الميلادي، بينما ظلت فرنسا تحاول أن تكون لها اليد العليا في الإقليم عن طريق كونت الفلاندرز التابع لها. وكان الإقليم واحدًا من أهم المراكز الاقتصادية الأوروبية في العصور الوسطى، بالإضافة لموقعه الاستراتيجي بشمال غرب فرنسا، ومواجهة سواحل إنجلترا الجنوبية. وكانت مدينتي جنت وبروج – اللتان أصبحتا من أهم مراكز صناعة وتصدير الأصواف – من أهم المدن بذلك الإقليم. وقد نجحت جنت أثناء الصراع الإنجليزي الفرنسي منتصف القرن الرابع عشر الميلادي أن تصبح مركزًا تجاريًا رئيسًا لتجارة وتوزيع الحبوب الغذائية في المنطقة؛ مما جعلها مؤهلة للدخول في صراع سياسي أو اقتصادي مع منْ يحاول أن يضع حدًا لتفوقها الاقتصادي، حتى لو كان الكونت حاكم الإقليم التابع لفرنسا.

كانت ثورة الفلاندرز بزعامة جنت تعبيرًا واضحًا عن رفض مدن الإقليم تغيير سياستها الاقتصادية، أو حرمانها من مكاسبها، حتى لو طلب ذلك الملك الفرنسي صاحب السيادة على الإقليم. وكانت الثورة سجالاً بين قوات الفلاندرز وكونت الفلاندرز الموالي للملك الفرنسي. كما تدخلت إنجلترا في الصراع أكثر من مرة للحد من التفوق الفرنسي، واستبعاد خطر الهجوم الفرنسي على جنوب إنجلترا. وقد انتهى الصراع في إقليم الفلاندرز بتوقيع صلح تورناي ١٣٨٥م، والذي أعاد الهدوء للإقليم والاستقرار لجنت كما أعاد لها حريتها الاقتصادية والدينية.

الكلمات المفتاحية: الفلاندرز، جنت، بروج، فرنسا. إنجلترا، حرب المائة عام، صلح تورناي.

The Economic Conflict over the Flanders Region in the Fourteenth Century AD.

Dr. Huwaida Sayed Ali Muhammad

Abstract:

The Flanders region was one of the most important areas of conflict between England and France, and this conflict was one of the causes of the Hundred Years' War between the two countries. Therefore, England was keen to gain followers within the territory that had been feudally affiliated with France since the eighth century AD, while France continued to try to have the upper hand in the region through its Count of Flanders. The region was one of the most important European economic centers in the middle Ages, in addition to its strategic location in northwestern France and facing the southern coast of England. The cities of Ghent and Bruges, which became among the most important centers of wool industry and export, were the most important cities in that region. During the Anglo-French conflict in the middle of the fourteenth century, Ghent succeeded in becoming a major commercial center for the trade and distribution of food grains in the region, which made it eligible to enter into a political or economic conflict with who tries to put an end to its economic superiority, even if the Count is the ruler of the territory belonging to France.

The Flanders Revolt, led by Ghent, was a clear expression of the region's cities' refusal to change their economic policy or be deprived of their gains, even if the French king, who was sovereign over the region, requested it. The revolt was a dispute between the forces of Flanders and the Count of Flanders, who was loyal to the French king. England intervened in the conflict more than once to limit French superiority and eliminate the threat of a French attack on southern England. The conflict in Flanders ended with the signing of the Peace of Tournai in 1385 AD, which restored calm and stability to the region and restored Ghent's economic and religious freedom.

Keywords: Flanders, The Hundred Years' War, Ghent Revolution, Peace of Tournai, France, England.

مقدمة

يقع إقليم الفلاندرز Flanders على الحدود الشمالية الغربية لفرنسا، مواجهًا لسواحل إنجلترا الجنوبية، وتقع أجزاء منه الآن في جنوب بلجيكا، وقد سيطر الفرنسيون على هذا الإقليم منذ عصر الملك الفرنجي كلوفيس Clovis (٤٨١–٥١١م)، ثم أصبح هذا الإقليم منطقة حدودية يتبع فرنسا إقطاعيًا منذ القرن الثامن الميلادي[١]. وكانت المنافسات الاقتصادية أهم ما كان يشغل سكان هذا الإقليم ومدنه، خاصةً مدينة جنت Ghent[٢]. وكان يشغل أولوية قصوى في الصراع بين إنجلترا وفرنسا خلال حرب المائة عام[٣]. وذلك لمحاولة مدن الإقليم الحصول على المزيد من الاستقلال السياسي والاقتصادي، بينما حاولت إنجلترا كسب النفوذ والأتباع في الإقليم ضد فرنسا، بينما اعتبرته فرنسا إقليمًا إقطاعيًا تابعًا لها، وتحاول الحفاظ عليه[٤]؛ مما جعل هذا الإقليم يتحول لمنطقة صراع بين الدولتين.

لم يكن الدراسة التي بين أيدينا هي الدراسة الوحيدة عن إقليم الفلاندرز، بل كانت هناك دراسات سابقة مثل: دراسة هشام الحسيني، "العلاقات الإنجليزية الفلمنكية (إدوارد الثالث وجاكوبوب فان أرتفيلد)"، وقد تناولت هذه الدراسة العلاقات بين الملك الإنجليزي إدوارد الثالث Edward III (١٣٢٧–١٣٧٧م)، والزعيم الفلمنكي جاكوب فان أرتفيلد

---

[1]- Jordan. W. C; "Flandre," Middle Ages, An Encyclopedia for Students, Vol. 2, USA, 1996, pp. 98-99; Hana Walt. B. A.; The Middle Ages, Oxford, New York, 1998, p. 133.

[٢]– مدينة جنت Ghent؛ واحدة من أكبر المدن الصناعية والتجارية في العصور الوسطى، وتقع شمال جبال الألب على نهر شيلدت Scheldet ونهر ليس Lys .

Patricia Carson; The Fair Face of Flanders, Ghent, 1969, pp.72-73.

[٣] – حرب المائة عام The Hundred Years War (١٣٣٧ – ١٤٥٣م) هي حرب بين إنجلترا وفرنسا، وقد بدأت بسبب العداء بين البلدين بعد الفتح النورماندي لإنجلترا عام ١٠٦٦م، والذي جعل ملوك إنجلترا النورمانديين يحتفظون بأملاكهم غرب فرنسا؛ الأمر الذي لم يقبله ملوك فرنسا، وهدد وحدة بلادهم؛ بالإضافة للصراع السياسي والاقتصادى في منطقة الفلاندرز، مما أدى لظهور هذه الحرب بينهما، والتي اصطلح المؤرخون على تسميتها بحرب المائة عام. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج١، القاهرة، ١٩٩١م، ص ص ٤٥٥–٤٥٦.

[4]- Pettit. J.; History of Great Britain, London, 1794, p.357.

Jacob van Arteveld (١٢٩٠–١٣٤٥م)،[٥] وركزت هذه الدراسة على أهمية منطقة الفلاندرز بالنسبة لإنجلترا، وما وصلت إليه العلاقات بين الملك إدوارد وجاكوب فان أرتفيلد، خاصةً في العقد الرابع من القرن الرابع عشر الميلادي، وهي الفترة التي برزت فيها شخصية فان أرتفيلد، والتي انتهت بمقتله عام ١٣٤٥م.[٦] وهناك دراسة أخرى للباحث محمد جمعة، "النقابات في أسواق الفلاندز الفرنسية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين"، وقد تناولت هذه الدراسة التعريف بالنقابات، وتنظيمها، وخصائصها في غرب أوروبا بوجهٍ عام، وفي منطقة الفلاندرز بوجهٍ خاص، مع توضيح لبعض مدن الإقليم التي كانت بها أسواق ونقابات، وذلك في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.[٧] أما الدراسة الثالثة فللباحث ديفيد نيقولاس David Nicholas، عن تجارة نهر شيلدت وثورة جنت خلال الفترة (١٣٨٥–١٣٩٧م)، وقد تناولت هذه الدراسة مدن إقليم الفلاندرز، ومدى التقدم التجاري التي وصلت إليه، وارتباط ذلك بثورة جنت، أو ثورة مدن الفلاندرز بزعامة جنت أكبر مدن الإقليم.[٨] بينما تتناول هذه الدراسة إقليم الفلاندرز ومدنه، وما وصلت إليه من تقدم اقتصادي، خاصةً في الصناعة والتجارة، وارتباط ذلك بزيادة أهميته بالنسبة للجانبين الفرنسي والإنجليزي خلال القرن الرابع عشر الميلادي وهو ما كان سببًا في حرب المائة عام، كما تتناول الدراسة الدور الذي قامت به مدن الإقليم في تسيير الأحداث، والصراع المحتدم في القرن الرابع عشر بين إنجلترا وفرنسا حتى صلح تورناي ١٣٨٥م.

---

[٥]– جاكوب فان أرتفيلد، وُلد في مدينة جنت عام ١٢٩٠م في أسرة ثرية، وقد برزت شخصيته كزعيم في وقت نزاع كونت الفلاندرز وسكان الإقليم، واستغل ذلك، وبدأ في مساندة الكونت ضد بعض المتمردين عام ١٣٢٥م، ثم بدأ يشارك في الحياة السياسية منذ عام ١٣٣٨م، انظر:

Froissart, The Chronicles, pp. 29-30; Patricia Carson; "James Van Artevelde," ***Speculum***, Vol. 57, 1982, p. 270.

[٦]– هشام علي الحسيني، "العلاقات الإنجليزية الفلمنكية (إدوارد الثالث وجاكوب فان أرتفيلد)"، ***مجلة المؤرخ العربي***، الجزء الأول، العدد ٢٧، ٢٠١٩م، ص ص (٢٦٢–٣١٣).

[٧] – محمد جمعة محمد، النقابات في أسواق الفلاندرز الفرنسية خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين، مجلة سوبك للدراسات التاريخية والحضارية، العدد الثانى، يوليو ٢٠٢١م، ص ص (٩٥ – ١٢٠).

[8] David Nicholas; "The Scheldet Trade and the Ghent War of 1385–1397," ***Bulletin de la commission royale d'histoire***, Academie royle de Belgique. Tome 144, 1978.

إقليم الفلاندرز:

كان سكان هذا الإقليم يزدادون بشكلٍ مستمر منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وذلك بسبب الهجرة المستمرة من الريف إلى المدن الصناعية، والتي بها فرص عمل ومستوى معيشي أفضل؛[٩] مما أعطى لمدن الإقليم فرصة تكوين فرق عسكرية؛ لكثرة عدد الشباب والعمال. وتمتد معظم مدن الإقليم على نهر شيلدت Scheldet،[١٠] الذي يصب في بحر الشمال؛ مما سمح لمدن الإقليم أن تتواصل اقتصاديًا مع دول أوروبا المختلفة، وأن تصبح نقطة التقاء تجاري بين إنجلترا وشمال إيطاليا وألمانيا وفرنسا،[١١] وكانت مدينة جنت واحدة من أهم مدن الإقليم، عند التقاء نهر شيلدت ونهر ليس Lys، وكانت منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادي لديها ثروة كبيرة بسبب تجارتها المزدهرة من صناعة النسيج، لاسيما المنسوجات الصوفية الإنجليزية، وقد نتج عن زيادة الثروات بالمدينة ظهور طبقة أرستقراطية تشارك في السلطة، وتحاول الحفاظ على امتيازاتها ضد كونتات الفلاندرز الموالين لفرنسا[١٢].

---

[٩] – ورن هلستر، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٦٣؛ هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة: عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م، ص٧٧؛ ديفز.هـ.و، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: عبدالحميد حمدي، منشأة المعارف، ١٩٥٨م، ص٢٢٩.

[١٠] – نهر شيلدت Scheldet ؛ نهر ينبع من شمال فرنسا، ويتدفق عبر كامبري Cambrai وتورناي Tournai وأوديناردي Oudenaarde، ويلتقي بنهر ليس Lys بالقرب من مدينة جنت، ثم يتجه شرقًا ليلتقي بنهر ديندر Dender عند مدينة ديندرموند، ثم شمالاً باتجاه مدينة أنتويرب Antwerp ليصب في بحر الشمال، وبالتالي يعد الممر المائي الرئيس الذي يخدم تجارة مدن الإقليم.

David Nicholas; "The Scheldet Trade and the Ghent War," p. 189.

[١١] – محمد جمعة محمد، "أسواق كونتية شامبني الموسمية في المملكة الفرنسية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر"، ***مجلة سويك للدراسات التاريخية والحضارية***، العدد الثالث، يناير ٢٠٢٢م، ص ص (٨٧–١١٦)، ص ٩٠.

[12]- Stef Espeel and Sam Geens; "Feeding inequalities: the role of economic inequalities and the urban market in late medieval food security. The case of fourteenth-century Ghent," In: Disuguaglianza economica nelle società preindustriali: cause ed effetti/ Economic inequality in pre-industrial societies: causes and effect, Edited by Giampiero Nigro, Firenze University Press, 2020, p. 391; Patricia Carson; The Fair Face of Flanders, Ghent, 1969, pp. 72-73.

ومدينة بروج،[١٣] التي كانت تأتي في المرتبة الثالثة كأكثر المدن الاقتصادية شمال الألب بعد باريس وجنت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، ونظرًا لوقوعها على بحر الشمال أمام السواحل الإنجليزية، وبُعدها عن الساحل بقدرٍ كافٍ، جعلها آمنة لاستقبال سفن وأساطيل ألمانيا وجنوة والبندقية وقشتالة وقطالونيا، بالإضافة إلى السفن الإنجليزية، التي استوردت منها الصوف الإنجليزي[١٤]. وكان في الإقليم مدن أخرى مثل إيبري Ypres،[١٥] بالإضافة لمدن مجاورة له، وارتبطت معه بعلاقات اقتصادية مثل أنتويرب Antwerp (ميناء رئيس على بحر الشمال)، وميخيلين Mechelen، ويقعان في منطقة شيلدت السفلى، بالإضافة لمدن سانت أومير Saint-Omer[١٦] وليل Lille[١٧]، وغيرها من المدن الأقل شأنًا، وكانت تعمل جميعها في صناعة النسيج، وأصابت من الغنى قدرًا أقل من جنت وبروج[١٨].

وقد ازدهرت الصناعة في مدن الإقليم منذ القرن الحادي عشر الميلادي، خاصةً صناعة الملابس والأقمشة الصوفية؛ فقد استخدم سكان الإقليم الأراضي غير الصالحة للزراعة كمراعٍ للماشية، وحصلوا في البداية على كمية لا بأس بها من الصوف، ثم استوردت

---

[١٣]– مدينة بروج Bruges؛ تقع على خليج ضيق على بحر الشمال، وكانت تعد من أهم المراكز التجارية في مواجهة السواحل الإنجليزية.

Jourdan. W. C.; "Bruges," In: The Middle Ages, An Encyclopedia for Students, Vol. 1, New York, 1996, p.111.

[14]- Jourdan. W. C.; "Bruges," p.111.

[١٥]- إحدى مدن غرب الفلاندرز، وتقع على الحدود الشمالية الغربية لفرنسا؛ مما جعلها معبرًا تجاريًا بين فرنسا ومدن الفلاندرز. كما كانت مركزًا صناعيًا،

Peter Stable, The Fabric of the City, A Social History of Cloth Manufacture in Medieval Ypres, Amsterdam University Press, 2022, pp. 84-85.

[١٦]- سانت أومير Saint-Omer مركز مهم في شمال غرب الفلاندر، والآن يتبع دولة فرنسا في منطقة كاليه، وقد تم إنشائه في العصر الميروفنجي.

Rosemary Argent; "Saint–Omer," Medieval France, An Encyclopedia, New York & London, 1995, pp. 845- 846.

[١٧]– مدينة تقع أقصى شمال فرنسا، وكانت إحدى مدن الفلاندرز، وكانت مركزًا لصناعة النسيج في القرن الرابع عشر، وأصبحت مدينة تابعة لفرنسا بمقتضى معاهدة أوتريخت عام ١٧١٣م.

Palmer. R. R.; A History of the Modern World, 2nd ed., Alfred A Knopf Publisher, 1961, p. 234.

[١٨]– هنرى بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٣٩؛ ديفز، أوروبا، ص ٢٢٩.

الصوف الجيد من إنجلترا، وتحولت تلك المدن السكنية لمدن صناعية،[١٩] وكان النساجون والقصارون والجزازون وغيرهم من عمال صناعة الصوف يشكلون حوالي أكثر من نصف سكان مدينة جنت، وثلث سكان مدينة بروج، ونصف سكان إيبري، وتم تنظيمهم في نقابات حرفية[٢٠]. وكانت تلك النقابات حريصة على جودة المنتج؛ فقد كانت هناك رقابة شديدة على الصناع، كما كان لكل نقابة شعار أو خاتم يوضع على المنتج الخاص بها كعلامة تجارية، وقد قامت نقابة النساجين في مدينة بروج بطرد أحد أعضائها؛ لأنه زور طابع على منتجه[٢١]. ومع تزايد الإجراءات الفرنسية في فرض الضرائب على التجارة المارة بالمدن الفرنسية، بدأ التجار يتجهون مباشرة لإقليم الفلاندرز، حيث بدأ تزايد التجار الإيطاليين في مدن الإقليم، وتناقصهم في فرنسا، كما قام البنادقة بتحويل طريقهم التجاري من الاتجاه عبر نهر السين إلى باريس، ثم إلى الفلاندرز، إلى الطريق البري شرقًا نحو نهر الراين، ليصلوا إلى الفلاندرز مباشرةً[٢٢]. وقد أدى زيادة النشاط الصناعي والتجاري بالإقليم إلى زيادة عدد الأسواق، والتي كانت تخدم منطقة واسعة في شمال وغرب أوروبا، ولما كانت المدن هي المكان المناسب والأفضل لانتشار الأسواق، أصبحت مدن الفلاندرز أسواق كبرى للتبادل التجاري بين دول أوروبا خاصةً في جنت وبروج.[٢٣] ومن منطلق المصالح الاقتصادية؛ فقد فضلت تلك المدن – خاصةً جنت وبروج – التعاون مع الإنجليز، حتى وإن كان ذلك ضد رغبة فرنسا صاحبة السيادة على الإقليم؛ فقد حقق سكان المدينتين أرباحًا كبيرة، سواء العاملين في ورش أو منازل بها مغازل يدوية، أو أنوال كبيرة؛ بالإضافة لعمل القصاريين وتجار النسيج، وهو ما جعل تمرد تلك المدن على السيادة الفرنسية – المتمثلة في الكونت – يستمر حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي.[٢٤]

---

[١٩]– محمد جمعة، النقابات في أسواق الفلاندرز الفرنسية، ص ١٠١.

[20]- Jan Dumolyn, Wouter Rychbosch and Mathijs Speecke; "Did inequality produce medieval revolt? The material position and political agency of textile workers during the Flemish Revolt of 1379–1385," ***Social History***, Vol. 46, Issue 4, 2021, p. 6.

[٢١]– محمد جمعة، النقابات في أسواق الفلاندرز، ص١٠٧.

[22]- Heaton, H.; Economic History of Europe, New York, 1948, p. 170.

[23]- Thampson J. W.; Economic and Social History of the Middle Ages (300-1300), No.11, New York, 1928, p. 588.

[24]- Robert. S. Lopez; The Commercial of the Middle Ages (950-1350), Cambridge, 1976, pp. 131-132; هنري بيرين، تاريخ، أوروبا، ص ٣٩.

وقد بدأ اهتمام فرنسا بإقليم الفلاندرز منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وبالتحديد منذ عهد الملك لويس السابع Louis VII (١١٣٧–١١٨٠م)، الذي أدرك أهمية موقع هذا الإقليم في مواجهة إنجلترا؛ لأنه يعد خط الدفاع الأول إذا حاولت إنجلترا الهجوم البحري على فرنسا، أو أنها ستكون خط الهجوم الأول إذا ما حاولت فرنسا نفسها الهجوم على إنجلترا[٢٥]. وفي القرن الثالث عشر الميلادي، حاولت مدن الفلاندرز الظهور كقوة سياسية وعسكرية؛ وذلك لأنها أدركت أن منْ يسيطر على مدن الإقليم، أو منْ يتسبب في أي اضطراب في منطقة نهر شيلدت، سيؤثر على تجارتها بالسلب،[٢٦] إلا أن الملك الفرنسي فيليب أغسطس Philippe Augustus (١١٨٠–١٢٢٣م) قضى على تلك القوة في معركة بوفين Bauvines عام ١٢١٤م،[٢٧] وأصبحت مدن الفلاندرز تحت السيادة الفعلية للملكية الفرنسية، كما اشترك جنود من الفلاندرز في حملة لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦–١٢٧٠م) على مصر (١٢٤٨–١٢٥٠م)[٢٨]. ومع نهاية القرن الثالث عشر الميلادي؛ منع فيليب الرابع Philippe IV (١٢٨٥–١٣١٤م) عودة التحالف بين الفلاندرز وإنجلترا، حيث منع زواج الأمير الإنجليزي إدوارد Edward – والذي سيصبح إدوارد الثاني ملك إنجلترا فيما بعد (١٣٠٧–١٣٢٧م)– من فيليبا دو فلاندر Philippa de Flander؛ مما جعل

---

[25]- Pardessus. M.J.; "De la juridiction exercée per la cour féodale du roi sur les grands vassaux de la Couronne pendent, les onzième et douzième et treizième siècles," ***Bibliotheque de l'école des Chartes***, Tome 9, Paris, 1848, p. 286.

[26]- David Nicholas, The Scheldt Trade, p. 192.

[٢٧]– معركة بوفين Bauvines ١٢١٤م، هي معركة بالقرب من مدينة ليل الفرنسية، واستطاع فيها الملك فيليب أوغسطس الانتصار على تحالف ملك إنجلترا جون الأول John l (١١٩٩–١٢١٦م) وإمبراطور ألمانيا أوتو الرابع Otto IV (١١٩٧–١٢١٢م) وكونت الفلاندرز فيراند، والذين اتفقوا على مهاجمة دوقية أكوتين التابعة للتاج الفرنسي. انظر:

Anonymous; Anonymi Rhenani, **R.H.C. Hist. Occ**, Tome 5, 2ème partie, 1895, p. 522; Barraclough, G; The Origins of Modern Germany, Oxford, 1947, p. 215; ديفز، أوروبا، ص ٢٢٩.

[28] - Chronicles of the Crusades, Being Contemporary Narratives of the Crusade of Richard Coeur de Lion, By Richard of Devizes and Geoffrey de Visauf, and of the Crusade of St. Louis, By Lord John de Joinville, London, 1848, p. 379.

كونت الفلاندرز جاي دو دامبيير Guy de Dampierre (١٢٤٨–١٣٠٥م) يكون أكثر عداءً للملك الفرنسي[٢٩].

وبعد أن استطاع الملك فيليب الرابع التخلص من الكونت جاي دو دامبيير؛ قام بزيارة الإقليم عام ١٣٠٠م، واستقبله السكان بالترحاب، وقد اعتقد الملك الفرنسي أن الأمور أصبحت في الإقليم مستقرة، وتحت سيادته، إلا أن ما حدث في عام ١٣٠٢م يدل على استمرار مدن الإقليم على نفس سياستها في التمرد على الملك الفرنسي؛ فقد ثارت مدن غرب الفلاندرز، خاصةً بروج، فأرسل الملك الفرنسي جيشه بقيادة روبير دارتوا Robert d'Artois، ومستشاره بيير فلوت Pierre Floute للتصدي لتلك الثورة، وبمجرد أن وصل الجيش الفرنسي إلى الحدود الفلمنكية، بدأ في السلب والنهب، وقد وصل تعداد الجيش الفرنسي أربعين ألف مقاتل، نصفهم من الفرسان[٣٠]. وعندما وصل الجيش الفرنسي لجنوب كورتراي Courtray (على الضفة الشمالية لنهر لي Leie)، كانت القوات الفلمنكية بقيادة بيتر دى كونينك Peter de Conink غالبيتها من المشاة من بروج وإيبري وجنت، خاصةً جنت، ولم يزد عددهم عن عشرين ألف مقاتل، لكنهم استطاعوا عمل خدعة حربية بحفر خندق كبير، وتغطيته بحشائش، وانتشروا بالقرب منه، وعندما بدأ الجيش الفرنسي بإلقاء السهام والرماح، تراجع الفلمنكيون، فسقطت طلائع الجيش الفرنسي في هذا الخندق؛ مما أعطى الأفضلية لجيش الفلاندرز، الذي هزم الجيش الفرنسي في ١١ يوليو ١٣٠٢م في كورتراي هزيمةً قاسيةً[٣١].

ولم يستسلم الملك الفرنسي لتلك الهزيمة، خاصةً بعد تواجد القوات الفلمنكية على الحدود الفرنسية بالقرب من سان أومير، واحتكاكها بالقوات الفرنسية[٣٢]، فجهز جيشًا بريًا

---

[29]- Hardy, T. D; Syllabus of Documents Relating to England and Other Kingdoms, Vol. 1, London, 1869, pp. 124-125; Stevenson, J; Selection of Papers Illustrative of the History of Sir William Wallace, Durham, 1841, p. XVII; Pierre de Langtoft; The Chronicle of Pierre de Langtoft, Vol. 11, London, 1866, p. 278.

[30] - Michelet, J; Histoire de France, Tome 4, Paris, 1861, p. 9.

[31]- Anonyme Regum Franciea, Chronico, **R.H.G.F**, Tome 22, Paris, 1878, p. 17; Eugene Welvert; "Philippe le bel et la maison de Luxmbourg," ***Bibliotheque de l'école des Chartes***, Tome 4, Paris, 1884, p. 182;

هنرى بيرين، تاريخ أوروبا، ص ١٩١.

[32]- Lavisse, E., Histoire de France, Tome 4, 2ème partie, A. Coville, Paris, 1911, p. 305.

وبحريًا لغزو الفلاندرز في ١٣ أغسطس ١٣٠٤م، واستطاع تحقيق انتصارًا بريًا في مدينة مونس- إن- بيفيل Mons-En-Pevele (جنوب مدينة ليل)، كما حقق نصرًا بحريًا في زيلاند Zeeland شمال الفلاندرز.[٣٣] وعندما تولى إدارة الإقليم الكونت روبير دو بيتين Robert de Bethune (١٣٠٥-١٣٢٢م) بعد وفاة دامبيير؛ وقّع معاهدة بونتوا Pontoise عام ١٣١٢م مع فرنسا، بحيث تكون مدن الإقليم شبه مستقلة، وتتبع فرنسا إقطاعيًا كما كان الحال من قبل.[٣٤] وفي عام ١٣١٤م، أرسل الملك الفرنسي جيشًا جديدًا للإقليم؛ بسبب حدوث اضطرابات لم ترق إلى الثورة.[٣٥] لكن الملك فيليب السادس Philippe VI (١٣٢٨-١٣٥٠م) استطاع إخضاع الإقليم بشكلٍ مباشر، عندما أرسل الجيش الفرنسي، وحقق نصرًا كبيرًا على قوات الفلاندرز في كاسيل Casel عام ١٣٢٨م،[٣٦] حتى أصبح كونت الفلاندرز لوا دو نيفير Lois de Never (١٣٢٢-١٣٤٦م) يعتمد في بقائه على إرضاء الملك فيليب السادس.[٣٧]

وهناك سببان مهمان قد أثرا على اقتصاد الفلاندرز وأمنها الغذائي، وجعل منها منطقة صراع نفوذ بين إنجلترا وفرنسا في ذلك التوقيت. أولهما انحياز كونت الفلاندرز إلى جانب سيده الملك الفرنسي، وفرض حظر تجاري على الصوف الإنجليزي، والذي كان مادةً خام رئيسة لمنسوجات الفلاندرز الشهيرة[٣٨]. والسبب الثاني تمثل في سيطرة جاكوب فان أرتفيلد أحد كبار تجار النسيج في جنت على صناعة النسيج وتصديرها. خاصةً لإنجلترا في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي. حيث قام أرتفيلد بالسيطرة على جنت، وتبعه أهلها

---

[33]- Nicholson, H; Medieval Warfare (1300-1500), China, 2004, p. 35; Tony, J.; Dictionary of Battles and Sieges, 2 Vols. London, 2007, p. 677.

[34]- M. Champollion-Figeac; Letters de rois, reines et autres presonnages des cours de France et d'Angleterri depuis Louis VII jusqu'à Henry IV, Tome 11. Paris, 1847, p. 15.

[35]- Tout. T. F.; The History of England from the Accession of Henry III to the Death of Edward III (1216-1377), New York & Bombay, 1905, p. 343.

[36]- Froissart, The Chronicles of Froissart, Trans. By J. Bourchair, Vol. 1, London, 1930, pp. 29-30; Seward, D.; The Hundred Years Wars (1337-1453), New York, 1982, p. 26.

[37]- Leon Lacabane, M.; "Recherches sur les auteurs des grandes chroniques de France, dites de saint Denys," ***Bibliotheque de l'école des Chartes***, Tome 2, Paris, 1810, p. 65; A.V. Pevple Francois; La legende des Flamens, chronique a Bregee, Paris, 1558, p. 43.

[38]- Patricia Carson; The Fair Face of Flanders, pp. 72-73; Robert. S. Lopez; The Commercial, pp. 131-132.

من الصناع والتجار، لكنه استخدم سياسة طابعها العنف والشدة؛ مما جعله يتعرض لسخط أهل جنت، واتهموه بالفساد، خاصةً بعد أن تخلى عنه ملك إنجلترا إدوارد الثالث Edward III (١٣٢٧–١٣٧٧م)، وتم قتله على يد النساجين عام ١٣٤٥م.[٣٩]

إقليم الفلاندرز سببًا في حرب المائة عام:

إن التجارة النشطة للصوف ومنسوجاته بين إنجلترا والفلاندرز؛ جعلت الملك إدوارد الثالث يهتم بهذا الإقليم، خاصةً وأنه يقع شمال فرنسا، ومواجه للسواحل الإنجليزية، فرحب الملك إدوارد بإقامة علاقات ودية مع تجار وصناع هذا الإقليم[٤٠]. الذي شكلت ضرائب الصادرات الإنجليزية له جزءًا كبيرًا من الموارد المالية الإنجليزية[٤١]. لذلك نجد الملك إدوارد الثالث يعارض أية محاولة لوضع الإقليم تحت السيطرة المباشرة لفرنسا – كما ذكرنا سابقًا؛ لأنه إذا حدث ذلك؛ تستطيع فرنسا إيقاف أو تعطيل التجارة بين إنجلترا وإقليم الفلاندرز،[٤٢] كما أنه سيعطي لفرنسا أفضلية عسكرية للهجوم على السواحل الإنجليزية. فقام الملك إدوارد بتشجيع الحرفيين والصناع الأجانب للانتقال والعمل داخل إنجلترا، حيث فتحت إنجلترا أبوابها لكل عامل أجنبي في صُنع الملابس، وبالفعل استقر الكثيرون في مدن إنجلترا، وعلى رأسها لندن London ويورك York[٤٣].

وفي عام ١٣٣٦م؛ أمر الملك فيليب السادس ملك فرنسا الكونت لويس دو نيفير Louis de Nevers (١٣٢٢–١٣٤٦م) كونت الفلاندرز بالقبض على كل التجار الإنجليز بتهمة التحريض على الثورة ضد السيادة الفرنسية[٤٤]. فرد الملك إدوارد على ذلك

---

[39]- Froissart, The Chronicles of Froissart, pp. 82-89;
سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج١، ص ٤٨٥؛ هشام الحسيني، العلاقات الإنجليزية الفلمنكية، ص ٢٧٢.

[40]- John Levis; The History of the Life and Suffering of Reverend and Learned, John Wicliffe, London, 1720, p. 235.

[41]- Tierney, B.; Sources of Medieval History, Vol. 1, USA, 1999, p. 278;
نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج٢، ق١، ط١، دار الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر (دمشق)، ١٩٩٣م، ص ٣٨٨.

[42]- Lucas, H.; "Edward III and the Poet, John Boendale Chronicler," ***Speculum***, Vol. 12, No. 3, 1937, p. 338.

[43]- Charlotte, M. W.; Economic History of England (1060-1879), London, 1925, pp. 121-122.

[44]- Austin, Ogg; A Sources Book of Medieval History, New York, Cincinnati, Chicago, 1907, p. 421.

بقطع العلاقات مع الملك فيليب السادس، وفرض حظر على تصدير الصوف الإنجليزي لمدن الفلاندرز[٤٥]. بل وإرساله لمدن منافسة لها مثل أنتويرب وبروكسيل Bruxelles في إقليم برابانت[٤٦] Barabant المجاور للفلاندر[٤٧].

ومع بروز شخصية جاكوب فان أرتفيلد كقائد لجنت، والذي استطاع طرد الكونت لويس عام ١٣٣٧م، وإلغاء تبعية الإقليم لفرنسا، بل وتحالفه مع ملك إنجلترا إدوارد الثالث، وتشجيعه له بوجوب المطالبة بالتاج الفرنسي مقابل عودة تصدير الصوف الإنجليزي إلى جنت،[٤٨] تدهورت العلاقات بين إنجلترا وفرنسا، وحاول البابا بنيديكت الثاني عشر Bendict XII (١٣٣٤–١٣٤٢م) منع الحرب بين الملكين، خاصةً بعد لجوء روبير دو أرتوا – صهر فيليب السادس – إلى ملك إنجلترا بعد أن طرده ملك فرنسا من حكم أرتوا، وأعلن أنه سوف يهاجم أي بلد تقبل لجوء روبير، وهو ما اعتبره إدوارد إعلانًا للحرب[٤٩]. وبدأت الحرب بين الطرفين، والتي اصطلح على تسميتها بحرب المائة عام (١٣٣٧–١٤٥٣م)، وكان ذلك لعدة أسباب أهمها الصراع الاقتصادي في إقليم الفلاندرز.

الأزمة الاقتصادية وثورة مدن الفلاندرز في القرن الرابع عشر الميلادي:

اندلعت الحرب الإنجليزية الفرنسية، واستطاعت إنجلترا تحقيق انتصارات متتالية على فرنسا، حتى أنزلت الجيوش الإنجليزية هزيمة ساحقة بجيوش الملك جون الثاني John II الملقب بـ (le bon) ملك فرنسا في موقعة بواتييه Poitiers، ووقع الملك جون نفسه أسيرًا

فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، إبراهيم أحمد العدوي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م، ق٢، ص٣١٧.

[٤٥]– سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص ٤٥٨.، نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج٢، ص٣٨٧.

[٤٦]– إقليم برابانت، يقع في شمال فرنسا بالقرب من إقليم الفلاندرز في المنطقة ما بين نهر الميز Meuse ونهر شيلدت، وكانت في القرن الثاني عشر جزءًا من دوقية اللورين السفلى Lower Lorrainae ، Moore, W.; The Penguin Encyclopedia of Places, New York, 1907, p. 703.

[47] - Stephenson, C.; Medieval History, USA, 1987, p. 487;

محمد حمزة حسين، لبنى رياض عبد الحميد، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار ابن الأثير، ط١، ٢٠١٣م، ص١٤٣.

[٤٨]– فشر، تاريخ أوروبا، ق ٢، ص٣١٧؛ هشام الحسيني، العلاقات الإنجليزية الفلمنكية، ص ٢٧٥.

[49]- Jones, W.; Ecclesiastical History, Vol. III, London, 1838, p. 478;

فشر، تاريخ أوروبا، ق٢، ص٣١٧.

في يد الجيش الإنجليزي ١٣٥٦م[٥٠]. وتولى شارل الخامس Charles V وصاية العرش في فرنسا حتى وفاة والده جون الطيب، ثم أصبح ملكًا على فرنسا (١٣٦٤-١٣٨٠م)[٥١]. وكان من الطبيعي أن تتأثر مدن الإقليم بتلك الحرب، حيث بدأت مرحلة من الركود الاقتصادي لصناعة نسيج الصوف، خاصةً المستورد من إنجلترا. وهو أهم ما كانت تعتمد عليه مدن الإقليم في صناعتها.

كما عانت مدن الفلاندرز مثلها مثل بقية دول أوروبا من خطر الطاعون (الموت الأسود) في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، والذي أتى على كثير من سكان تلك المدن[٥٢]. ومرت بعدها فترة وجيزة من الهدوء والسلام النسبي مع فرنسا، لاسيما بعد وفاة جاكوب فان أرتفيلد حليف إنجلترا في منطقة الفلاندرز. ومع زيادة السيطرة الفرنسية على مدن الفلاندرز، بدأت تلك المدن خاصةً جنت في تغيير سياستها الاقتصادية لتعويض خسارتها، فتحولت من صناعة وتجارة النسيج فحسب؛ إلى تجارة أخرى مربحة، وهي تجارة الحبوب الغذائية، حتى أصبحت جنت مركزًا رئيسيًا لتجارة وتوزيع الحبوب، وقد عوض هذا الأمر جزئيًا عن تراجع صناعة النسيج[٥٣].

عندما استطاعت مدينة جنت التحول تدريجيًا نحو تجارة الحبوب، أصبحت مركزًا تجاريًا حصريًا لجميع الحبوب المنقولة عبر نهري شيلدت وليس، وليس وبفضل موقعها المميز عند التقاء الممرين المائيين، وبما أن العديد من المدن بمقاطعة الفلاندرز ودوقية برابانت Brabant كانت تعتمد على الحبوب المستوردة من شمال فرنسا؛ فقد أثبتت أنها تجارة مربحة لجنت[٥٤]. ونتيجة لذلك استطاع اقتصاد جنت إعادة توجيه نفسه تدريجيًا نحو تجارة الحبوب الإقليمية، بالإضافة للسوق الدولية للصوف؛ مما كان له أكبر الأثر في تخفيف أثر الأزمة الاقتصادية التي مر بها الإقليم في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي.

---

[50]- Froissart, The Chronicles of Froissart, pp. 124-127; Mr. Rapin de Thoyras, The History of England, Translated into English with addition notes by M.A. Tindal. Vol. 1, London, 1743, p. 429.

[51]- Lavisse, E., Histoire de France, Tome 4, 1ere partie, p. 105.

[٥٢]- المحجوب قدار، "جهود أوروبا في مواجهة الطاعون (الموت الأسود)"، ***مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية***، مجلد ٣، عدد ٢، سبتمبر ٢٠٢٠م، (ص ص ١٣١-١٥٠)، ص ١٣٢.

[53]- Stef Espeel and Sam Geens; Feeding, p. 392.

[54]- Sam Geens; Inequality, p. 216.

في عام ١٣٧٩م سمح الكونت لويس دو مالي Louis de Male لمدينة بروج Bruges بحفر قناة بإتجاه نهر ليس، وقد شكّل هذا الممر بالنسبة لجنت تهديدًا خطيرًا لتجارة الحبوب البالغة الأهمية، وعندما وصل عمال الحفر إلى أرض جنت، أوقفت قوات تُدعى القلنسوات البيضاء[٥٥](Capuchons blancs) أعمال البناء بالقوة؛ مما أجبر الكونت على سحب دعمه للقناة بشرط حل قوات القلنسوات البيضاء[٥٦]. وكان ذلك الطلب يتوافق مع سياسات الكونت لويس التي استخدمها للمنافسة بين المدن للحد من امتيازاتها، وعندما قام المأمور أو رئيس المدينة روجير دو أوتيريف Roger d'Outerive وممثل الكونت في جنت باعتقال أحد أعضاء القلنسوات البيضاء، خرج الوضع عن السيطرة، وانتفض أهل جنت بزعامة فيليب دو أرتفيلد Philippe d'Artevelde، وقتلوا المأمور روجير[٥٧].

وفي عام ١٣٨٠م، توفيَّ شارل الخامس (١٣٦٤–١٣٨٠م) ملك فرنسا، وكان خليفته شارل السادس Charles VI (١٣٨٠–١٤٢٣م) صغيرًا، حيث لم يتعد الاثنى عشرة عامًا؛ مما جعل فرنسا تدخل في حالة ارتباك وصراع على العرش من قبل الأوصياء على العرش[٥٨]. فاستغلت جنت ذلك؛ وبدأت تسعى للاستيلاء على بقية مدن المقاطعة، وبدأت بمدينة إيبري، ثالث أكبر مدن الإقليم بعد جنت وبروج، وقد عانت إيبري من سياسات الكونت لويس، ومن التدهور الاقتصادي؛ مما جعلها تنضم لثورة جنت، وقد وضح ذلك عندما وصل إليها ثوار جنت، وأجبر أهلها جنود الكونت على الخروج من المدينة، ووقفوا

٥٥– فرقة القلنسوات البيضاء White Hoods؛ فرقة شبه عسكرية حضرية بقيادة جان يوينز Jan Yoens الرئيس السابق لنقابة الشحن في جنت، وقد قامت تلك القوات المحلية بإرهاب المناطق النائية في جنت، وقامت بالإغارة عليها عدة مرات:

Gdfried Croenen; Chronicles of Revolt, Galbert of Bruges de Multro and Jean Froissart's chronique de Flandre, University of Liverpool, 2001, p. 1,

56- Froissart, The Chronicles of Froissart, p. 223; Sam Geens; Inequality, p. 216.

٥٧– فيليب دي أرتفيلد هو زعيم شعبي في مدينة جنت، وهو ابن جاكوب فان أرتفيلد، وقاد ثورة جنت عام ١٣٨١م، وكان بسبب شهرة والده الابن الروحى للملكة الإنجليزية فيليبا دو هينو، والتي حملته بين ذراعيها أثناء معموديته:

Froissart, The Chronicles of Froissart, p. 247; Stef Espeel and Sam Geens; Feeding, p. 392.

٥٨– سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص٤٦٥؛ جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٧، ص ٢٠٩.

بجانب قوات جنت، وساروا جنبًا إلى جنب معهم للاستيلاء على بروج التي كان بها مواطنين متعاطفين مع الثورة، ورفضوا حمل السلاح ضد جنت، وفر عدد من الموالين للكونت تاركين السيطرة عليها في أيدى الثوار؛ مما صعب أمر الدفاع عن المدينة، فدارت معركة بيفرهوتسفيلد Beverhoutsveld، وفيها وضعت قوات جنت مدفعيتها أمام المدينة لصد أي هجوم من قوات بروج بزعامة الكونت، والتي كانت تعاني من عدم الانضباط؛ بسبب احتساء كثير منهم الخمر لاعتقادهم أن ذلك سيعطيهم مزيدًا من الشجاعة، وعندما بدأت قوات الكونت في بروج الاقتراب من قوات جنت، أطلقت قوات جنت قذائف مدفعية تُسمى ريبولديكوان[٥٩] Ribauldequins، وارتبك جيش الكونت بسبب هجوم قوات جنت المفاجئ؛ مما سهل على فيليب فان أرتفيلد زعيم جنت وقائد قواتها الانتصار على الكونت والسيطرة على بروج[٦٠].

فر الكونت من المدينة بصعوبة، واستطاع تحصين مدينتي ديندرموند Dendermonde وأوديناردي Oudenaarde فقط، واضطر الكونت لويس لعقد صلح أو اتفاق هدنة مع الثوار بحلول الشتاء[٦١]. وانتهت المرحلة الأولى من ثورة الفلاندرز بنجاح، حيث لم يواجه الثوار أية مقاومة، كما صادر القائمين على الثورة ممتلكات الموالين لمعارضيها. ويتضح من انضمام قوات إيبري، وتعاطف الكثيرين من بروج، وانضمامهم لجنت تحت زعامة فيليب فان أرتفيلد، وعدم استطاعة الكونت لويس منع الثوار من الاستيلاء على مدن الإقليم واحدة تلو الأخرى، عدا مدينتي أودينارديو وديندرموند فقط، أن الثورة لم تكن ثورة جنت فحسب؛ إنما يمكن أن نطلق عليها ثورة مدن الفلانرز بزعامة جنت.

وفي عام ١٣٨١م، نقض الكونت لويس الصلح، وأصبحت جنت في موقف دفاعي، وبحلول خريف العام نفسه، وقفت جنت بمفردها، حيث استطاع الكونت لويس استعادة المدن الأخرى، كما حاول حصار جنت بحلول عام ١٣٨٢م؛ ومما جعل الأمر صعبًا على المدينة؛ أن لويس حاول تجويع المدينة بتدمير المناطق الريفية المجاورة لجنت؛ حتى لا تعتمد عليه، ولكن قوات جنت استطاعت الخروج من المدينة، ومهاجمة مدينة بروج، ونجحت

---

[٥٩]– مدافع ريبولديكوان Ribauldequins هي أحد أنواع المدفعية الخفيفة المتنقلة:

Hall Bert, Weapons and Warfare in Renaissance Europe, Baltimore, 2006, p. 49.

[60]- Froissart, The Chronicles of Froissart, p. 273; ديفز، أوروبا، ص ص ٢٣٠–٢٣١.

[61]- Froissart, The Chronicles of Froissart, p. 279; Sam Geens; Inequality, p. 219.

في ذلك، ولكن بصعوبة، وهو ما شجع المدن الأخرى في الإقليم للانضمام للثورة مرة أخرى، خاصةً بعد أن فر لويس بصعوبة من بروج، ولجأ إلى شمال فرنسا[٦٢].

وقد غضب الملك الفرنسي شارل السادس، الذي كان يواجه ثورات متعددة أخرى في مملكته، لكن فيليب لو بولد (الجرئ) Philippe le bold – أحد أعمام الملك الفرنسي والذي كان متزوجًا من ابنة الكونت لويس ووريثته – أقنع الملك الفرنسي أنه يجب الرد على ما يحدث في الفلاندرز وبقوة، وأن يدافع عن الكونت لويس التابع له؛ لتأمين ميراثه في الإقليم؛ مما جعل الملك الفرنسي يطلب من فيليب نفسه القيام بذلك.[٦٣] فخرج فيليب لو بولد بجيش من مدينة ليل، كما جمع الكونت لويس جيشًا من القلاع الفلمنكية على الحدود الفرنسية، وتقابل القائدان عند مدينة أراس Arras على الحدود الفلمنكية الفرنسية؛ مما جعل القوات الفلمنكية بزعامة أرتفيلد ترفع الحصار عن مدينة أودينارديِ[٦٤]. وكان فيليب استطاع الاستمرار في الحصار منتظرًا الدعم الإنجليزي، لكنه وجد أنه من الأفضل مهاجمة القوات الفرنسية التي استولت على مدينة إيبري في ٢٣ نوفمبر، وتوجه بقواته للتمركز على تل يسمى جودبيرج Goudberg مجاور لمدينة روزيبيكي Rozebeke في طريق القوات الفرنسية، التي وصلت إلى سفح التل. وفي صباح ٢٧ نوفمبر؛ أراد فان أرتفيلد الاستفادة من الضباب الكثيف للهجوم على القوات الفرنسية، فقام بأمر رجاله من المشاة بترك موقعهم الحصين فوق التل، والهجوم على الفرنسيين، وكان هو نفسه في الصفوف الأمامية بين قوات القلنسوات البيضاء، وتوغل الفلمنكيون داخل الجيش الفرنسي، فقام القائد الفرنسي أوليفييه دو كليسون Olivier de Clisson بمهاجمة الأجنحة الفلمنكية غير المحمية بسلاح الفرسان، فأصابهم بالذعر، كما أن مؤخرة الجيش ألقت السلاح، وانسحبت، وحاول الفلمنكيون استعادة صفوفهم، لكنهم فشلوا، وقتل الجيش الفرنسي كثير من القوات الفلمنكية، ومن بينهم أرتفيلد الابن في معركة روزيبيكي في ٢٧ نوفمبر ١٣٨٢م.[٦٥]

حاول فيليب بعد الانتصار، القضاء على الثورة والثوار، فقام بنهب بعض المدن التي لجأ إليها الثوار، مثل كورترايك Kortrijk، كما أمر باعتقال قادة الثورة، وقطع رؤوسهم، كما

---

[62]- Froissart, The Chronicles of Froissart, p. 269

[63]- Froissart, The Chronicles of Froissart, p. 289.

[٦٤]– وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، ج٣، مكتبة النهضة العربية، ١٩٦٢م، ص٧٥٤؛ ديفز، أوروبا، ص ٢٣١.

[65]- Froissart, The Chronicles of Froissart, pp. 289-290.

أرسل رأس أرتفيلد للملك الفرنسي، الذي أمر بتعليقها أمام الناس ليكون عبرةً لهم[٦٦]. واضطرت بروج لدفع غرامات باهظة، ومن ناحية أخرى؛ فقد نجت جنت نفسها من الانتقام، حيث عادت القوات الفرنسية إلى فرنسا بسبب حلول الشتاء وصعوبة المناخ،[٦٧] وعلى هذا النحو انتهت المرحلة الثانية من الثورة، وقد استطاعت فرنسا القضاء عليها، ولكن بشكلٍ مؤقت، حيث كان من الضروري للقوات الفرنسية استكمال ما بدأته، والاستيلاء على معقل الثورة في جنت، ولكن عودتها إلى فرنسا سيجعل النار تظل مشتعلة تحت الرماد لتشتعل مرة أخرى.

وفي المرحلة الثالثة والأخيرة للثورة، طغت حرب المائة عام على الإقليم، ففي ربيع ١٨٨٣م غزا الإنجليز المقاطعة تحت ستار حملة صليبية ضد الكلمنتيين[٦٨] Clementine، لكن الدافع الحقيقي كان تعطيل فرنسا لتجارة الصوف البالغة الأهمية للإنجليز والفلاندرز، ومحاولة السيطرة على الإقليم. وبعد أن غزت القوات الإنجليزية العديد من البلدات الساحلية؛ انضمت إليها قوات جنت، ولكن هذه المرة بزعامة فرانس أكرامان France Akraman أحد قادة الثورة الناجين من انتقام فيليب لو بولد.[٦٩] وبينما كانت القوات الفرنسية منشغلة بكيفية صد الهجوم الإنجليزي؛ استغل الثوار الفرصة، وحاصروا مدينة إيبري، وحاولوا الاستيلاء عليها، لكنهم فشلوا في ذلك لعدم وجود الدعم الإنجليزي المتوقع، وعدم كفاءة الثوار في العدد والعدة، كما كانوا سابقًا مع أرتفيلد الابن؛ مما جعل الثوار ينسحبون من حصار إيبري، ويتجهون إلى مدينة أودينارد Oudenarde الأقل تحصينًا وقوةً، فاستولوا عليها[٧٠].

---

[66]- David Nicholas; The Scheldet trade and the Ghent war of 1397 – 1385, p.221.

[67]- Thomas Walsingham, Historia Anglicana, vol. 2, (1381- 1422), London, 1864, p.81; ديفز، أوروبا، ص ٢٣١.

[٦٨]- الكلمنتيين Clementines ؛ هم أتباع البابا كلمنت السابع Clement VII (١٣٧٨-١٣٩٤م)،فقد حدث صراع على كرسى البابوية والزعامة الدينية في أوروبا في القرن الرابع عشر الميلادى بين بابا روما أوربان السادس Urban VI، وكلمنت السابع في أفينون Avignon وقد حاول كل منهما التحالف مع ملوك أوروبا للحصول على التفوق على الآخر والقضاء عليه، وهو ما كان سببًا في زيادة أمد الحرب بين إنجلترا وفرنسا حيث كانت فرنسا تأيد البابا كلمنت السابع بينما أيدت إنجلترا البابا أوربان،

Mr. Rapin de Thoyras, The History of England, P. 482., Michelet. J; Histoire De France, Tome. IV, P. 60.

Froissart,The Chronicles of Froissart, P.295.

[69]- Froissart,The Chronicles of Froissart, P.300.

[70]- Thomas Walsingham, Historia Anglicana, vol. 2, pp.90-91.

توفيَّ لويس لو مالي في أوائل عام ١٣٨٤م، وخلفه فيليب لو بولد دوق برجنديا، واندلع الصراع مرة أخرى للسيطرة على أودينارديي بينه وبين الثوار الذين استطاعوا مفاجأته، والاستيلاء على مدينة دامي Damme الساحلية، التي كانت تسيطر على مصب نهر زفين Zwin بين بروج وبحر الشمال، وكانت هذه الخسارة بمثابة كارثة بالنسبة للفرنسيين، حيث خسر فيليب موقع مهم يستطيع الثوار من خلاله الاستيلاء على مدينة بروج، أو على الأقل التحكم في الطريق إليها، كما أن ذلك سيعطي الفرصة للإنجليز مرة أخرى للسيطرة على سواحل الفلاندرز، ومهاجمة فرنسا بكل سهولة، كما سيمنع القوات الفرنسية التي كانت تخطط لغزو إنجلترا عن طريق الدخول إلى مصب النهر. فحوَّل الجيش الفرنسي وجهته على الفور باتجاه مدينة دامي، التي هربت منها قوات جنت؛ لإدراكها صعوبة مواجهة الجيش الملكى الفرنسي، لكنها دمرت المدينة قبل مغادرتها.[٧١] وهنا أدرك الملك الفرنسي وفيليب أنهما لا يستطيعان مواجهة الجيش الإنجليزي مع وجود عدو داخل الأراضي التابعة لفرنسا (قوات جنت)؛ لذلك اقترح فيليب على الملك عقد صلح مع جنت، ووافق الملك على ذلك[٧٢].

صلح توريناي عام ١٣٨٥م:

كانت فرنسا تسعى للتحالف مع إسكتلندا لغزو إنجلترا من سواحل بحر الشمال، مستغلةً ثورة الفلاحين في إنجلترا عام ١٣٨١م، والمشاكل الداخلية التي كانت تعاني منها إنجلترا بعد وفاة الملك إداورد الثالث. وهو ما يُعد مشابهًا لموقف إنجلترا في هجومها على فرنسا، مستغلةً ثورة مدن الفلاندرز بزعامة جنت. بالإضافة لعداء إسكتلندا لإنجلترا، وقد استطاعت فرنسا تنفيذ ذلك في عام ١٣٨٥م، عندما اتفقت مع إسكتلندا لإحداث ثغرة على السواحل الجنوبية لإنجلترا، والدخول منها وغزوها، لذلك تم تجهيز جيش فرنسي كبير بقيادة الأدميرال الفرنسي جان دو فيين Jean de Vienne لمهاجمة السواحل الجنوبية لإنجلترا[٧٣]. لكن فرنسا فوجئت بما قام به ثوار الفلاندرز من تخريب مدينة دامي الساحلية بين بحر الشمال ومدينة بروج، مع اتصالهم بالإنجليز؛ مما جعل فيليب دوق برجنديا يعقد صلح

---

[71]- Thomas Walsingham, Historia Anglicana, Vol. 2, p. 93.

[٧٢]– مدينة توريناي، تقع في أقصى شمال إقليم الفلاندرز، وكانت مركزًا للنسيج وصناعة الملابس مثل جنت وبروج، هنري بيرين، تاريخ أوروبا ص١٥٠.

[73]- Boardman, S.; "A People Divided Languages, History and Anglo-Scottish Conflict in the Work of Andrew of Wyntoum," In: Brendan Smith, Ireland and English World in the Late Medieval Ages, Great Britain, 2009, p. 117.

تورناى مع ثوار جنت بموافقة الملك الفرنسي شارل السادس[٧٤]. وعقد الصلح في مدينة تورناي في ١٨ ديسمبر ١٣٨٥م بين فيليب الثاني ممثلًا عن الملك الفرنسي، وأكرامان قائد قوات جنت، ونص الصلح على ما يلي:

- حصول كل ثوار جنت على عفوٍ عام.
- تظل كل امتيازات مدينة جنت كما هي.
- مدينة جنت حرة في إتباع البابا الذي تريده.
- تخلي قوات جنت عن دعمها لإنجلترا، والاعتراف بسيادة الملك الفرنسي شارل السادس والدوق فيليب الثاني (الجرئ) عليها[٧٥].

وبهذا الصلح تنتهي المرحلة الثالثة من ثورة الفلاندرز بزعامة جنت، بعد أن استمرت ست سنوات، استسلمت بعدها لسلطة الملكية الفرنسية، مع تجنب المزيد من الخسائر المادية وفي الأرواح، وفشل حلم دولة المدينة المستقلة، واستمر عصر المركزية الملكية، كما كانت ثورة جنت بمثابة ثورة التجارة في أوروبا العصور الوسطى، وهي تشبه الثورة الصناعية بعد ذلك[٧٦]، إلا أنها تعد جزءًا من الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت أوروبا في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث اندلعت ثورة الفلاحين في إنجلترا عام ١٣٨١م[٧٧]، وثورة باريس عام ١٣٨٢م؛ بالإضافة لثورة الفلاندرز ومركزها جنت (١٣٧٩– ١٣٨٥م)، والتي انتهت جميعها بالتأكيد على السلطة الملكية والدولة المركزية[٧٨].

---

[74]- Grafton's Chronicle, History of England, from year 1189 to 1558, Vol. 1, London, 1809, p. 412;

سعيد عاشور، أوروبا، ج١، ص٤.

[75]- Froissart, The Chronicles of Froissart, p. 302; Sam Geens; Inequality, p. 222.

[٧٦]– نور الدين حاطوم، تاريخ العصور الوسطى في أوروبا،، ص١٤.

[٧٧]– هنرى بيرين، تاريخ أوربا، ص ١٨٧.

[٧٨]– وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ص٧٥٤.

الخاتمة:

كان إقليم الفلاندرز من أشهر المناطق الاقتصادية في القرن الرابع عشر الميلادي، حيث كان من المناطق الصناعية الرئيسة في أوروبا، وتحولت مدنه تدريجيًا منذ القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر الميلادي لأسواق رائجة، ومحط أنظار تجار وصناع كل دول وممالك أوروبا، كما أن موقعه على الحدود الشمالية الشرقية لفرنسا، ومواجهته للسواحل الجنوبية لإنجلترا؛ جعل منه موقعًا مؤثرًا في سير الأحداث بين الدولتين في ذلك الوقت، فهو كونتية تابعة لفرنسا من الناحية السياسية، بينما ارتباط أهل الإقليم بإنجلترا كان أقوى من ارتباطها بفرنسا، وذلك للتعاون الاقتصادي بين الجانبين. وقد تسبب الصراع الاقتصادي ومحاولة السيطرة على الإقليم لنشوب حرب المائة عام. كما أن محاولة فرنسا فرض سيادتها بالقوة على مدن الفلاندرز، أدى إلى قيام تلك المدن على مدار القرن الرابع عشر الميلادي بالثورة أكثر من مرة، واستطاعت هزيمة القوات الفرنسية بقوات مشاة محلية في أكثر من معركة. وكانت ثورة مدن الفلاندرز بزعامة جنت (١٣٧٩–١٣٨٥م) – والتي استمرت ست سنوات – تعبيرًا واضحًا عن القوة الاقتصادية للإقليم، واستطاعته تكوين جيش منظم، وهزيمة القوات الفرنسية، والاستيلاء على مدن الإقليم، عدا مدينتي أودينارديي ودينذرموند. كما كانت تلك الثورة تعبيرًا واضحًا عن رفض السيطرة والهيمنة الملكية والنظم الإقطاعية القديمة، وفي النهاية؛ اضطرت فرنسا لعقد معاهدة أو صلح تورناي مع ثوار الفلاندرز بزعامة جنت، حتى لا يكون الإقليم سببًا في تفوق إنجلترا على فرنسا، أو حتى انتقال عدوى الثورة للداخل الفرنسي، وفي المقابل خرجت جنت شبه مستقلة، ولديها الحرية في اتباع البابا الذي تريده، كما أن كل منْ ثاروا على الدولة من جميع مدن الإقليم، حصلوا على عفوٍ عامٍ.

الملاحق

خريطة (١)

نقلًا عن: فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ٢٢٤.

خريطة (٢)

تجارة نهر شيلدت وموقع مدينة جنت خلال حرب المائة عام

قائمة المصادر والمراجع

اختصارات :

1. R.H.G.F.: Recueil des historiens des Gaules et de France.
2. R.H.C.Hist.Occ.: Recueil des historiens des croisades historiens occidentaux.

أولًا: المصادر الأجنبية:

1) Anonymous: Anonymi Rhenani, en **R.H.C. Hist. Occ**., Tome 5, 2ème partie, 1895.
2) Anonyme Regum Franciea, Chronico, en: **R.H.G.F.**, Tome 22, Paris, 1878.
3) AV. Pevple. Francois: La legende des Flamens, Chronique a Bregee, Paris, 1558.
4) Chronicles of the Crusades, Being Contemporary Narratives of the Crusade of Richard Coeur de Lion, By Richard of Devizes and Geoffrey de Visauf, and of the Crusade of St. Louis, By Lord John de Joinville, London, 1848.
5) Eugene Welvert: "Philippe le bel et la maison de Luxmbourg," ***Bibliotheque de l'école des Chartes***, Vol. 45, Paris, 1884.
6) Froissart, The Chronicles of Froissart, Trans. By J. Bourchair, Vol. 1, London, 1930.
7) Grafton's Chronicle, History of England, from year 1189 to 1558, Vol. 1, London, 1809.
8) Hardy, T. D.: Syllabus of Documents Relating to England and Other Kingdoms, Vol. 1, London, 1869.
9) John Levis; The History of the life and suffering of reverend and Learned, John Wicliffe, London, 1720.
10) Jones. W.; Ecclesiastical History, Vol. III, London, 1838.
11) Lavisse, E., Histoire de France, Tome IV, premiere partie, Partie. A. Coville, Paris, 1911.
12) Leon Lacabane, M.: "Recherches sur les auteurs des grandes chroniques de France, Dites de Saint Denys," ***Bibliotheque de l'école des Chartes***, Tome 2, Paris, 1810.
13) M. Champollion- Figeac: Letters de Rois, Reines et autres presonnages des cours de France et d'Angleterri depuis Louis VII jusqu'à Henry IV, Tome 11, Paris, 1847.
14) Michelet. J: Histoire de France, Tome 4, Paris, 1861.
15) Mr. Rapin de Thoyras, The History of England, Translated into English with addition notes by M.A.Tindal, Vol. 1, London, 1743.
16) Pardessus. M.: De la juridiction exercée per la cour féodale du roi sur les grands vassaux de la Couronne pendent, les onzième et douzième et

treizième siècles," ***Bibliotheque de l'école des Chartes***, Tome 9, Paris, 1848, pp. 281-304.
17) Pettit. J.; History of Great Britain, London, 1794.
18) Pierre de Langtoft: The chronicle of Pierre de Langtoft, Vol. 11, London, 1866.
19) Stevenson. J: Selection of Papers Illustrative of the History of Sir William Wallace, Durham, 1841.
20) Thomas Walsingham, Historia Anglicana, Vol. 2 (1381: 1422), London, 1864.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1) Austin. Ogg; A Sources Book of Medieval History, New York, Cincinnati, Chicago, 1907.
2) Barraclough. G.; The origins of Modern Germany, Oxford, 1947.
3) Boardman. S.; A People Divided Languages, History and Anglo-Scottish Conflict in the work of Andrew of Wyntoum, In: Brendan Smith, Ireland and English World in the Late Medieval Ages, Great Britain, 2009.
4) Charlotte. M. Waters.; Economic History of England (1060-1879), London, 1925.
5) David Nicholas; "The Scheldet Trade and the Ghent War of 1397–1385," ***Bulletin de la commission royale d'histoire***, Academie royle de Belgique. Tome 144, 1978.
6) Gdfried Croenen; Chronicles of Revolt, Galbert of Bruges de Multro and Jean Froissart's Chronique de Flandre, University of Liverpool, 2001.
7) Hall Bert, Weapons and Warfare in Renaissance Europe, Baltimore, 2006.
8) Hana Walt. B. A.; The Middle Ages, Oxford, New York, 1998.
9) Heaton. H.; Economic History of Europe, New York, 1948.
10) Jan Dumolyn, Wouter Rychbosch and Mathijs Speecke; "Did inequality produce medieval revolt? The material position and political agency of textile workers during the Flemish Revolt of 1379–1385," ***Social History***, Vol. 46, Issue 4, 2021.
11) Jourdan. W. C.; "Flandre," In: Middle Ages, An Encyclopedia, Vol. 2, USA, 1996.
12) Jourdan. W. C.; "Bruges," In: The Middle Ages, An Encyclopedia, Vol. 1, New York, 1996.
13) Lucas H.; "Edward III and the Poet, John Boendale Chronicler," ***Speculum***, Vol. 12, No. 3, 1937.
14) Moore. W.; The Penguin Encyclopedia of Places, New York, 1907.
15) Nicholson. H: Medieval Warfare (1300-1500), China, 2004.

16) Palmer. R. R.; A History of the Modern World, 2nd ed., Alfred A Knopf Publisher, 1961.
17) Patricia Carson; The Fair Face of Flanders, Ghent, 1969.
18) Patricia Carson; "James Van Artevelde," ***Speculum***, Vol. 57, 1982.
19) Peter Stable, The Fabric of the City. A Social History of Cloth Manufacture in Medieval Ypres, Amsterdam University press, 2022.
20) Robert. S. Lopez; The Commercial of the Middle Ages (950-1350) Cambridge, 1976.
21) Rosemary Argent: "Saint– Omer, Medieval France," An Encyclopedia, New York & London, 1995, pp. 845- 846.
22) Seward. D: The Hundred Years Wars (1337- 1453), New York, 1982.
23) Stef Espeel and Sam Geens; "Feeding inequalities: the role of economic inequalities and the urban market in late medieval food security. The case of fourteenth-century Ghent," In: Disuguaglianza economica nelle società preindustriali: cause ed effetti/ Economic inequality in pre-industrial societies: causes and effect, Edited by Giampiero Nigro, Firenze University Press, 2020.
24) Stephenson. C.; Medieval History, USA, 1987.
25) Thampson J. W.; Economic and Social History of the Middle Ages (300- 1300), No.11, New York, 1928.
26) Tierney. B.; Sources of Medieval History, Vol. 1, USA, 1999.
27) Tony, J; Dictionary of Battles and Sieges, 2 Vols. London, 2007.
28) Tout. T. F.; The History of England from the Accession of Henry III to the Death of Edward III (1216-1377), New york & Bombay, 1905.

ثالثًا المراجع المترجمة:

١) ديفز. هـ.و، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: عبدالحميد حمدي، منشأة المعارف، ١٩٥٨م.
٢) فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد مصطفي زيادة، السيد الباز العريني، إبراهيم أحمد العدوي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م.
٣) هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة: عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.
٤) ورن هلستر، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.
٥) وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفي زيادة، ج٣، مكتبة النهضة العربية، ١٩٦٢م.

رابعًا المراجع العربية:

١) المحجوب قدار، "جهود أوربا في مواجهة طاعون (الموت الأسود)"، ***مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية***، مجلد ٣، عدد٢، سبتمبر ٢٠٢٠م.

٢) جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٧م.

٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج١، القاهرة، ١٩٩١م.

٤) محمد جمعة محمد، "النقابات في أسواق الفلاندرز الفرنسية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين"، ***مجلة سوبك للدراسات التاريخية والحضارية***، العدد الثاني، يوليو ٢٠٢١م، ص ص (٩٥–١٢٠).

٥) محمد جمعة محمد، "أسواق كونتية شامبني الموسمية في المملكة الفرنسية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر"، ***مجلة سوبك للدراسات التاريخية والحضارية***، العدد الثالث، يناير ٢٠٢٢م، ص ص (٨٧–١١٦).

٦) محمد حمزة حسين، لبنى رياض عبد الحميد، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار ابن الأثير، ط١، ٢٠١٣م.

٧) نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج٢، ق١، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان– دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٣م.

٨) هشام علي الحسيني، "العلاقات الإنجليزية الفلمنكية (إدوارد الثالث وجاكوب فان أرتفيلد)"، ***مجلة المؤرخ العربي***، الجزء الأول، العدد ٢٧، ٢٠١٩م، ص ص (٢٦٢–٣١٣).